

السنة الخامسة

المعنا

الجزء الثاني

مجلة اجتماعية علمية تهديية تاريخية

٢٤ جماد اول سنة ١٣٢٤

نيويورك ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٦

الشيخ محمد عبده
جمال الدين الافغاني

ما بين مبادئ الشيخين من المشاركة . ما فيها من الضعف والمخالفة لمبادئ العلم الحديث .
امتيار محمد عبده على الافغاني بهذا الشأن . تاريخ صلوات الجامعة بمحمد عبده . قبل المناظرة وبعدها

تابع التمهيد

٢

جعلنا صدر الجامعة لهذا المقال للدلالة على اهمية هذا الموضوع . لان الكلام فيه ليس
في ترجمة الاستاذ رحمه الله ولا في تاريخ حياة استاذنا الافغاني ولكنه على الاخص في
بسط مبادئها وعلاقتها ببعض من جهة ومبادئ العلم الحديث من جهة اخرى . وبما
ان تأثير الافغاني ومحمد عبده على الشرق واهله تأثير عظيم فالكلام في مبادئها كلام في
النهضة الشرقية ونخص منها الاسلامية في كل بلاد يسكنها اخواننا المسلمون . وسيرى القراء
في هذه المقالات المتسلسلة جانبي القوة والضعف في مبادئها وتعاليمها لكي لا يستسلموا اليها

بلا بحث ولا تمحيص . وانما نكتب هذه المقالات خاصة للشرقيين الذين تهتمهم الحركة الاسلامية في العالم الاسلامي ويتبعون تلك الحركة بفكر نشيط . وقد نكون مخطئين في حكمنا في هذين العلامتين فان التقدير سهل كما هو مشهور . ولكن سواء كنا مخطئين او مصيبين فهذا معتقدنا بنسبه للذين يقرأون الجامعة ولا غرض لنا كما يعلمون ذلك سوء البحث والتحقيق

وبما اننا ننظر في هذا التمهيد في علائق الجامعة بالاستاذ المفتي قبل المناظرة بينه وبينها وفي علائقها بعدها فاننا نوجز الكلام هنا في نعمة هذا التمهيد لنصل الى لباب الموضوع في السنة الثالثة من الجامعة القينا سواءاً على اهل الفهم والادب وهو «هل النهضة الادبية في الشرق نهضة حقيقية . وماذا يجب فعله لترقيتها» فاجاب كثيرون من ادياء مصر والشام على هذا السؤال اجوبة مختلفة نشرناها في تلك السنة . وقد شرف الاستاذ يومئذ الجامعة بجوابين على هذا الموضوع الاول في بضعة اسطر قصد به اظهار رضاه عن الجامعة وقد وقع عليه هكذا «الفقير الى الله وحده . محمد . ٠٠٠» وقد قصد بذلك مداعبة ادبية خفيفة لانك اذا اضفت كلمة «عبده» الى كلمة «محمد» كان توقيعه سجعاً . والاستاذ رحمه الله كان ولعاً بمثل هذه المداعبات والنكات الادبية . واما الجواب الثاني فقد كان ضافي الذبول وقد نشرناه في عدة صفحات في السنة الثالثة تحت عنوان «رأي عالم مصري وعالم سوري» وكان العالم السوري جناب جبرافندي ضومط استاذ البيان في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت والعالم المصري فضيلة الشيخ محمد عبده المفتي لذاك العهد . انما نتذكر اننا حذفنا من رأي الاستاذ عدة اسطر في عدة مواضع لتضمنها قرصاً شديداً لبعض الجرائد المصرية ولعله كان يعني الجرائد التي كانت معادية له . وقد بلغنا ان هذا الحذف ساءه يومئذ . ومن هنا انقطعت اخبار الاستاذ عن الجامعة رأساً ولكن كان يبلغنا من عنايته بها وثائها عليها ما قلدها منةً وفضلاً . من ذلك انه زارنا يوماً احد الاصدقاء وقال : كنت اليوم في «المحافظة» (١) وكان الاستاذ المفتي ضمن حلقة فيها يجادلون عن الجرائد وتأثيرها واهميتها فسمعتة يقول : قد يردي احياناً البريد وفيه عشرون جريدة ومجلة . فلما ارى في بريدي «مجلة الجامعة» فالول ما امدت يدي اليها وافتحها . وحدت لنا صديق قال «كنت اليوم عند فلان وسمي لنا باشا من اكابر المصريين كان يوماً اقرب المقرئين الى الجناب الخديوي واول موظفيه وكاتم اسراره الخاص فسمعتة يقول عن الجامعة قولاً ثلج له صدري

(١) المحافظة دار حاكم الاسكندرية ويسمونه (المحافظ) كما هو مشهور

فسأته وهل تعرف صاحب الجامعة فقال لي ولكنني انني شهادتي هذه على شهادة الاستاذ المفتي فانه ما جلس في مجلس ودار فيه الكلام عن الصحافة الا واخذ يذكر الجامعة ويثني على استقامتها العلمية والادبية . فكأنه لها اعلان حيي - قلنا وهذا هو السبب الذي منعنا من مخاشنة الاستاذ رحمه الله في اثناء المناظرة في « ابن رشد وفلسفته » وجعلنا نضرب صفحا عن تحريض المحرضين على فضيلته . فاننا لم نجد من الوفاء والادب ان نجزي الاحسان بالاساءة . واذا كان الاستاذ اساء الى الجامعة مرة فقد احسن اليها مرات

ثم كانت المناظرة في « ابن رشد وفلسفته »

واصلها ان الجامعة بدأت تستخرج فلسفة العرب وترجم اكاير فلاسفتيم وعلماهم لتجمع تراجمهم في كتاب يكون فريدا في اللغة العربية . لانه مما يستحي منه ان لا نعرف نحن ابناء اللغة العربية شيئا من تاريخ ومبادئ اساطين هذه اللغة مع ان فلسفتهم ومبادئهم نقلت الى جميع لغات العالم المتمدن . فافتحننا علما بترجمة ابن رشد في الجزء الثامن السنة الثالثة . فوجد قراء الجامعة في مصر على الخصوص ان هذه الطريقة التي اخذت الجامعة لترجم بها فلاسفة العرب وتلخص فلسفتهم بجرية مطلقة من كل قيد طريقة جديدة مستحبة . فكان لذلك الفصل شيئا من الدوي . ففي ذات يوم ونحن نعد ترجمة الامام الغزالي لنشرها كما نشرنا ترجمة ابن رشد واذا وردنا كتاب من مصر يقول مرسله فيه : ان الاستاذ المثني كان في الاسكندرية وقد بعث اخاه يسا لكم زيارته فلم يجدكم في الادارة فعاد الى القاهرة دون ان يراكم وغرضه من رغبته في مشاهدتكم هو ان يسا لكم هل تريدون ان تنشروا في الجامعة رداله طويلا على المقالة التي نشرتموها في « ابن رشد وفلسفته » وهو الان يسا لكم بواسطتي هذا السؤال . فاذا شئتم نشر الرد فاخبروني لانسخه وابعث به اليكم

فلما قرأت هذا الكتاب (عصبت رأسي) كما يقول العامة لانني ما كنت احب ان يرد الاستاذ رحمه الله على الجامعة في مسألة اسلامية وان كنت لا اجعل الفائدة التي تعود على المجلة من تنازل فضيلته للرد عليها . الا انني لم اتعلم قط الفرار من البراز ولو كان الداعي اليه الامام علي افرس الفرسان . فاجبت ايجابا وكانت المناظرة التي يعرفها القراء وهي بين ايديهم (١) ولم يقع للاستاذ مناظرة رنانة اخرى في مصر سوى مناظرته مع المسيو هانوتو وزير الخارجية الفرنسية السابق في مسألة شرعية تافهة في ذاتها . وفي هاتين

المناظرتين قال شاعر الاستاذ الصديق حافظ افندي ابراهيم غفر الله له :
وانتَ لها ان قام في الغرب مرجفٌ وانتَ لها ان قام في الشرق مرجفٌ
حافظ حافظ . انك لم تحاسب نفسك لما نظمتَ عجز هذا البيت

وقد اهتمَّ العالم الاسلامي والشرقي في مصر وخارج مصر بهذه المناظرة والاخرى اهتماماً لم يرَ مناظرة غيرها في الشرق . فبعث حاكم الجزائر يطلب الاشتراك في الجامعة وكتاب ابن رشد . وكذلك سلطان زنجبار وبعض المستشرقين في الاستانة وفرنسا . ولم يدخل كتاب ابن رشد الى العالم المستشرق في المدرسة الفرنسية في الاستانة الا بطريقة مضحكة . فانه عين لنا عنواناً في مرسيليا ارسلنا الكتاب بموجبه ومن مرسيليا ارسل الكتاب اليه في الاستانة ككتاب فرنسي لان البوسطة الفرنسية في مصر ساءحها الله لا تقبل مطبوعات عربية للاستانة . ولست اذكر هنا تاريخ كتابتي هذا الكتاب ولا طريقة كتابته فراراً من الاطالة فاكتفي بان اقول ان جميع قواي وحواسي تجمعت في مدة ثلاثة اشهر ليلاً ونهاراً في موضوع واحد . فقلَّ نومي وانقطعت قابليتي للطعام . وما سطرت آخر سطر فيه حتى انطرحت في الفراش لحماً شديدة عرتني . فكان جميع قواي التي كنت استختمها على العمل قد نفذت ورزحت اول ما علمت انها فرغت من عملها ولم يبقَ عليها شيء منه . وكان ظهور هذا الكتاب عبارة عن انفجار قبلة في العالم العربي . قال لنا مراسل جريدة اسلامية كبرى في الاسكندرية انه لقي فضيلة قاضي الاسكندرية السابق فقال له انه في التشريفات الخديوية التي وقعت بعد ظهور هذا الكتاب باسبوع واحد لم يكن للناس من حديث سوى امر هذا الكتاب والمفتي . وان « الكتاب دي سيروح مفتينا بدهايه » كذا قال . والصحيح ان خصوم فضيلة المفتي اغتموا فرصة هذه المناظرة لتحريض الجنب الخديوي عليه حتى ان الجامعة نفسها وردها تحريض من بعضهم . فانه في اثناء المناظرة لما رأى خصومه اننا لا نواجهه الا بكل اكرام واحترام بعثوا الينا بالكتاب التالي وعليه طابع بوسطة الازهر وهذا نصه بحرفه

حضرة الفاضل الاديب

ان للجامعة لدينا منزلة رفيعة ومقاماً شريفاً ونتمنى لها الدوام والارتفاع واننا نأسف كل الاسف ان اقرانها في المناظرة الحالية يدسون لها السم في الدسم ويوسعونها حسداً وبغضاً في زي صداقة وتعظيم وهي تزيد عملهم هذا تأثراً بتعظيمها لاقوالهم وتقديسها لآرائهم ويعلم الله انها اقوال لا يقولها الصبيان لا أعظم فلاسفة الزمان كما نقول الجامعة وقد اردنا

بهذه الكلمات استلفات نظرها الى امر ربانات عليها وساق الضر اليها
وان انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالاعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى
(احد القراء)

فمن لهجة هذا الكتاب ثقف على مبلغ النزاع والخصام الذي كان بين المفتي وخصومه
حتى من اهل الازهر نفسه . وسترى عند تحليل مبادئ المفتي ومبادئهم انه لم يكن كل
الحق في جانب المفتي وحده

اما كيف انتهت المناظرة ولماذا انقطعت بفتة ولم يرد بشأنها كلمة في الجامعة بعد
كتاب (ابن رشد) فسيبه اننا لما رأينا انه كاد يتسع الخرق على الراقع وجدنا من اصالة
الراي اما اقبال الباب قطعياً واما توسيع الخرق توسيعاً تاماً . فطبعنا كتاباً مفتوحاً الى
فضيلة المفتي ثلاثة الاف نسخة في ١٦ صفحة بحجم الجامعة وتركنا نسخة من هذا
الكتاب تصل الى فضيلة الاستاذ قبل توزيعه واشترطنا للعدول عن توزيعه ان يعدل بعض
اخصائه عن الشتم التي كان يوجهها الى الجامعة . فبعث فضيلته بالحال كبيراً يعتمد عليه في
الاسكندرية لايقاف توزيع الكتاب . فشرف سعاده ادارة الجامعة بزيارة منه لايقاف
توزيعه على ان يقفل هذا الباب . فرضينا شاكرين لفضيلة المفتي عقله واصالة رأيه . ولو
نشر هذا الكتاب المفتوح الذي لم يبق لدي الا نسخة واحدة منه لانني احرقته فرجما
كانت عاقبته سيئة جداً

وسيرد في الجزء التالي ما دار بين فضيلته والجامعة من الرسائل بعد هذه المناظرة .
وفي بعضها ابحاث اجتماعية مفيدة وفي بعضها للجامعة منه رحمه الله وخزات شديدة

